٢

سلسلة قصص الأنبياء

شيث وإدريس عليهما السلام

تأليف

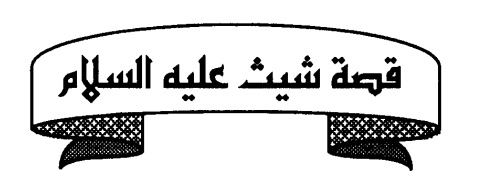
الشيخ /بكر محمد إبراهيم

مكتبة زهران

١٥شارع الشيخ محمد عبده

خلف الجامع الأزهر ت ٥١٠٩٨٨٧

رقم الإيداع	١٨١٩٠ / ٩٩
ترقيم دولي	977-5096-61-8



* هبة الله لآدم :

قضى آدم عليه السلام مدة من عمره يتأسف على فقدان الابن الصالح « هابيل » الذي قتله أخوه قابيل وكان حزنه كبيرًا عظيمًا .

لكن الله الذي اصطفاه أول مخلوق بشري وأكرمه فأسجد له ملائكته ، ثم أسكنه الجنة ، وكرمه بالعقل والحس الفطري ، وعلمه الأسماء كلها ، وغفر له زلته ، لم يتركه فريسة للآلام والأحزان على هابيل ، فعوضه عنه بأن وهبه شيثًا عليه السلام نبيًا . وكلمة شيث تعني هبة الله .

* نبوة شيث عليه السلام

عاصر آدم عليه السلام آلافًا من ذريته من أبنائه وأحفاده وقد عمر طويلاً ، فقد كانت أعمار السابقين طويلة وكان عمر آدم ألف سنة ، وقبل أن يتوفى الله آدم عهد إلى شيث عليه السلام ليقوم بالأمر بعده اختيارًا من الله جل جلاله . وهكذا كانت النبوة لـ (شيث) عليه السلام بعد آدم .

* صحف شيث عليه السلام :

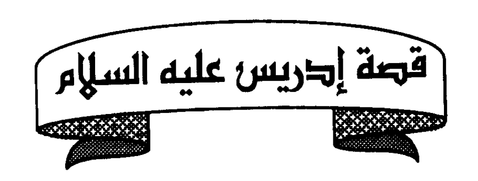
نزلت صحف على شيث عليه السلام من الله تعالى فقد روى أبو ذر الغفاري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : إن الله أنزل مائة صحيفة وأربع صحف ، على شيث خمسين صحيفة ، وقد اضطلع عليه السلام بتنفيذ أحكامها وإرشاداتها وما يتعلق بشئون الناس خاصتهم وعامتهم ، ورعى عليه السلام مجتمعه محافظًا على ميزان الحق والعدل بين الأفراد والجماعات دون ظلم أو قهر أو حيف[1] أو ميل ، فاستقام الناس على الصراط السوي .

* وفاته عليه السلام :

عمر شيث عليه السلام عمرًا طويلاً ، وقد شهد تكاثر الناس في زمنه واتساع المجتمعات وتمايزها وتباينها ، ثم دنا أجله وفارق الدنيا ، وقد أرسى لمن بعده من الأبناء والأحفاد قواعد صلاحهم ونجاتهم ، ما داموا بها متمسكين وعلى العهد قائمين وعلى منهج الله سائرين .

* * *

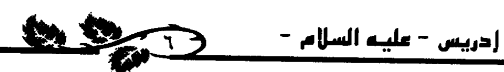
(١) الحيف : الظلم .



ورد ذكر إدريس عليه السلام في القرآن مع الأنبياء والمرسلين في مواضع . وفي سورة مريم ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا** ﴾ [مريم :٥٦] وفي سورة الأنبياء : ﴿**وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ** (٨٥) **وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٨٥ - ٨٦] فهو كما وصفه الله تعالى صديق نبي ، صابر ، صالح ، مرفوع عند الله مكانًا عليًا ، والصديق يا بني العزيز : هو من بلغ الكمال في الصدق أو قاربه. وكونه نبيًا يجعله كاملاً في الصدق.

إن الصدق من موجبات النبوة ومن أوصافها التي لا تنفك عنها ولا تتخلف فكل نبي لابد أن يكون متصفًا بالصدق والأمانة معصومًا من الكذب والخيانة ومن كل ذنب كبير وصغير قبل النبوة وبعدها وهو الأصح وهو نبي مرسل مع جملة المرسلين .

ووصفه بالصبر يدل على أنه قد لقى من قومه إيذاءًا وعنتًا شديدًا وابتلى بأنواع من البلاء، فقابلها بالشكر والرضا، لهذا وصفه الله تعالى بالصلاح وهو وصف لازم لعباد الله



المخلصين .

وصلاح الأنبياء أكمل من صلاح الأولياء ، ولكنهم درجات كما قال تعالى : ﴿ **تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ** ﴾ [البقرة : ٢٥٣] .

والذي كلمه الله هو موسى عليه السلام والذي رفعه درجات هو النبي محمد ﷺ .

* نبوة إدريس عليه السلام:

وإدريس عليه السلام هو أحد أحفاد « شيث » عليه السلام فكان إدريس ثالث أنبياء الله إلى عباده بعد آدم وشيث .

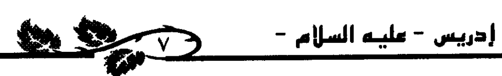
وقد رفعه الله مكانًا عليًا فعظم من شأنه وخلد ذكره في العالمين.

* نسب إدريس عليه السلام :

قال ابن كثير : هو إدريس بن يرد بن مهلاييل بن قينين بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر عليه السلام

واسمه في الكتب السابقة (خنوخ) وهو في عمود نسب النبي ﷺ .

وهو أول من أعطى النبوة بعد شيث عليه السلام ، وشيث أعطى النبوة بعد أبيه آدم عليه السلام .



* خصائص إدريس عليه السلام

تميزت نبوة إدريس - عليه السلام - يا بني العزيز بخصائص مهمـة منها : أن الله تعالى قد ألهمـه الكتابة والخط ولم يكن في زمانـه ألواح وأقلام ، فكان يخط على الرمـال ما يريد أن يبلـغه الناس وعلم بعض الناس الحروف والكلمـات المكتوبة والقراءة ثم تطورت الكتـابة بعد ذلك من الرسم على الرمـال إلى النقش في الأحجار لتكون أدوم وأبقى . الأمر الثاني أنه قد ألهم الحكمة من الله تعالى في التنقل والأسفار إلى حيث انتشر الناس وتوسعوا في سكنى مخـتلف أقطار الأرض، طلبا لـلماء والكلأ[1] والأمـــان، وإقامـة أوطان جديدة، فكـان إدريس عليه السـلام لا يستـقر في مكان حتى ينتقل إلى آخر يؤم الناس حيث وجدوا وينظم شؤونهم ويعلمهم ويدبر أمرهم ويبصرهم بدنيـاهم وآخرتهم، ويثبتهم على منهج الله والصراط المستقيم .

* رحلته إلى صعيد مصر

يروى أنه عليـه السلام قـد وصل في رحلة من رحـلاته إلى أقصى صـعيد مصـر ، حيث نزحت طائفة من الناس واستـقرت هناك على ضفاف النيـل تستصلح الأرض وتخصبـها على جانبي النيل ، وترعى أغنامها ومـاشيتها فقام على إصـلاحهم وتعليمهم ونشر الهداية بينهم .

---

(١) الكلأ : العشب .



* وفاته عليه السلام :

ورد في كتب أهل الكتاب أن إدريس عليه السلام قبض في السماء الرابعة والله أعلم بصحة هذه الرواية ، وقد يكون المكان العلى هو النبوة في الدنيا والجنة في الآخرة .

* حياة إدريس عليه السلام وكيفية وفاته:

كان يرفع لإدريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لأهل الأرض جميعًا ، فاشتاق ملك الموت لرؤيته ، فاستأذن الله في ذلك ، فأذن له ، فأتاه في صورة آدمي ، وبقى ضيفًا عند إدريس ثلاثة أيام ، لا يأكل فيها ، فسأله إدريس عن نفسه فقال: أنا ملك الموت . فطلب منه أن يقبض روحه ساعة ليذوق كرب الموت ، ففعل بعد إذن الله له ، ثم قال له إدريس بعد عودة الروح إليه : ارفعني إلى السماء لأرى الجنة فرفعه ولما مر بالنار - قبل وصوله إلى الجنة - طلب دخول النار فدخلها ، ثم خرج منها ودخل الجنة ، وامتنع عن الخروج منها ، والعودة إلى الأرض قائلاً :

الله يقول عن الموت ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ** ﴾ وقد ذقته ويقول عن النار ﴿ **وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا**﴾ [مريم :٧١] وقد وردتها ، ويقول عن الجنة وما هم منها بمخرجين ، وأنا لست

بخارج منها ، فأوحى الله عز وجل إلى ملك الموت أن دعه فإنه دخل الجنة بإذني ، وبإذني لا يخرج .

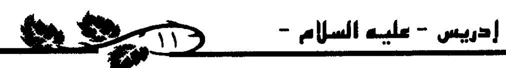
وروي عن ابن عباس وغيره في تفسيره ﴿ **وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا** ﴾ [مريم : ٥٧] روايات تقرب من تلك الرواية .

والذي نخرج به من تلك القصة أن إدريس عليه السلام قد رفع إلى السماء بطريقة ما ، حتى إن بعض المفسرين قالوا : إنه الآن ينعم بنعيم الجنة ، ويعبد الله أحيانًا في السماء السادسة أو الرابعة.

والله تعالى يقول : ورفعناه ، وظاهر النص رفعناه هو ولم يقل كما قال عن رسول الله ﷺ ﴿ **وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ** ﴾ .

إن رفع نبي الله إدريس إلى السماء تكريم له وتشريف لقدره .





الحقائق التي أجمعت عليها المصادر

❋ الحقيقة الأولى :

أن إدريس عليه السلام كان يرفع له كل يوم من العمل الصالح مثل جميع أهل الأرض في زمانه حتى أحبته الملائكة .

❋ الحقيقة الثانية :

أن إدريس عليه السلام رفع إلى السماء بطريقة ما .

❋ الحقيقة الثالثة :

في الإجماع التام على أنه أول عالم بالجواهر العلوية واستخراج الحكمة وعلم النجوم والفلك والحساب ورصد الكواكب .

ويذكر العلامة القرطبي في تفسيره في قول الله تعالى : **﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِين﴾** [الصافات : ١٢٣] أن ابن مسعود قال : إسرآئيل هو يعقوب ،وإلياس هو إدريس ، ثم قال : قطع الله على إلياس وإدريس لذة المطعم والمشرب وكساه الريش وألبسه النور فصار مع الملائكة ، فكان إنسيًا ملكيًا ، أرضيًا سماويًا .

كما ذكر ابن قتيبة : حول معنى الآية المذكورة : أن الله تعالى قال لإلياس : « سلني أعطك ، قال : ترفعني إليك ، فصار يطير مع الملائكة » .

يجب أن تعتقد في الأنبياء عقيدة سليمة وهي عصمة الأنبياء عن الصغائر والكبائر ، والعقيدة هي ما يعقد عليه القلب وتستقر فيه ولا يظن أن شيئًا بخلاف ذلك .

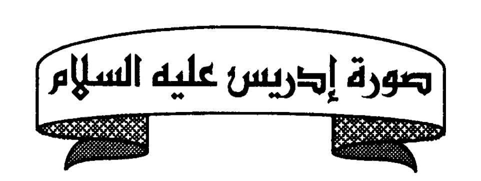
فإذا سمعت أن أهل الكتاب يطعنون في الأنبياء وينسبون إليهم الجريمة والنقص فيجب أن تكذبهم في ذلك فالأنبياء هم أفضل البشر على الإطلاق وأعلاهم قدرًا وأقربهم إلى الله تعالى اصطفاهم الله على خلقه أي اختارهم ليكونوا قدوة للناس ويكونوا مبشرين ومنذرين والله أعلم حيث يجعل رسالته .

أما ما قاله أهل الكتاب عن نبي الله داود عليه السلام واتهامه أنه بعث بقائده لكي يقتل ويتزوج هو زوجته الجميلة التي أعجب بها ، فهو كذب على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

أما ما يذكر من توبة الأنبياء وعتاب الله لنبيه محمد ﷺ في بعض المواطن بالقرآن الكريم فهذه المسائل ليست من الذنوب وإنما كما قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين .

فإن عتاب الله لنبيه ﷺ في فداء أسرى بدر وعدم قتلهم فإن هذا الأمر كان باجتهاد من النبي ﷺ ولم يكن نزل فيه تشريع ، وعتابه تعالى لنبيه ﷺ في قوله تعالى ﴿ **عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ** ﴾ فالرسول ﷺ قد صدقهم في إبدائهم الأعذار وأذن لطائفة بالتخلف عن غزوة تبوك والنبي ﷺ كبشر له الظاهر وعلم السرائر عند الله تعالى وهكذا .





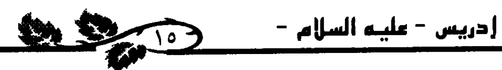
قيل إنه كان رجلاً آدم (أسمر) تام القامة حسن الوجه كث اللحية (ذا لحية كثيفة) مليح الشمائل (حلو الصفات) عريض المنكبين ضخم العظام قليل اللحم براق العينين أكحلهما متأنيًا في كلامه كثير الصمت ساكن الأعضاء (وقور) إذا مشى كان نظره إلى الأرض كثير الفكرة به عبسة (حزن) وإذا اغتاظ احتد (اشتد) يحرك سبابته إذا تكلم .

وكان على فص خاتمه (العبد مع الإيمان بالله يورث الظفر) والظفر بني العزيز هو النصر والغلبة ، وعلى المنطقة التي يليها الحزام ، وقت الصلاة على الميت (السعيد من نظر لنفسه . وشفاعته عند ربه أعماله الصالحة) .

أقوال تنسب إلى إدريس عليه السلام :

«لم يستطيع أحد أن يشكر الله على نعمه بمثل الإنعام على خلقه»

« من أراد بلوغ العلم وصالح العمل فليترك من يده أداة الجهل وسيئ العمل كما ترى الصانع الذي يعرف الصنائع كلها إذا



أراد الخياطة أخذ آلتها وترك آلة النجارة ، فحب الدنيا وحب الآخرة لا يجتمعان في قلب أبدًا » .

« خير الدنيا حسرة ، وشرها ندم » .

« إذا دعوتم الله سبحانه فأصلحوا النية وكذا الصيام والصلوات فافعلوا» .

« لا تحلفوا بالله كاذبين ولا تهجوا على الله سبحانه باليمين ولا تُحلِّفوا الكاذبين فتشاركوهم في الإثم »

« تجنبوا المكاسب الدنيئة » .

« أطيعوا لملوككم واخضعوا لأمرائكم واملئوا أفواهكم بحمد الله »

« حياة النفس حكمة » .

« لا تحسدوا الناس على مواتاة الحظ فإن استمتاعهم به قليل» .

« من تجاوز الكفاف لم يقيه شيء » .

بعض ما سنه لقومه المطيعين له

دعا إلى دين الله والقول بالتوحيد وعبادة الخالق وتخليص النفوس من العذاب في الآخرة بالعمل الصالح في الدنيا ، وحض على الزهد في الدنيا والعمل بالقول . وأمرهم بصلوات ذكرها لهم على صفات بيَّنها وأمرهم بصيام أيام معروفة من كل شهر

وحثهم على الجهاد لأعداء دينهم وأمرهم بزكاة الأموال معونة للضعفاء بها وغلظ عليهم في الطهارة من الجنابة والخنزير والكلب، وحرم السكر من كل شيء من المشروبات وشدد فيه أعظم تشديد ، وجعل لهم أعيادًا كثيرة في أوقات معروفة .

ووعد أهل ملته بأنبياء يأتون من بعده ، وعرفهم صفة النبي فقال : يكون بريئًا من المذمات والآفات كلها (والمذمات ما يذم الإنسان عليه من الأفعال القبيحة ، والآفات العيوب والنقائص ، فإن الآفة هي الحشرة التي تأكل المزروعات ، كاملاً في الفضائل الممنوحات ، لا يقصر عن مسألة يسأل عنها مما في الأرض والسماء ومما فيه دواء وشفاء من كل ألم ، وأن يكون مستجاب الدعوة في كل ما يطلبه ، وأن يكون مذهبه ودعوته المذهب الذي يصلح به العالم .

فلم يزالوا على هذه القاعدة من الفعل في العبادة وأدب الائتمار بهذه الشريعة إلى أن رفع الله إدريس إليه وخلفه أصحابه على شريعته . اهـ .

وأما عند أهل الكتاب فلا يوجد شيء سوى قولهم : وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه (ص ٥ : ٢٤ سفر التكوين) .

